

ملحمـــة

الحرب المقدسة

ونشيد العروبة فى تحرير فلسطين

« محمود محمد صادق »

شاعر الثورة المصرية عام ١٩١٩ وواضع نشيد مصر القومي

تصدير بقلم سماحة «مفتى فلسطين الأكبر» . تقديم بقلم فضيلة «مفتى الديار المصرية»

قررت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية تعميمها فى جميع أنحاء العالم العربى
وقامت بإهداء الطبعة الأولى إلى قادة العروبة ومراكز الجهاد

الطبعة الثانية للمؤلف (بقيمة التكاليف ٧ قروش) وللخارج ١٠ قروش خالصة رسم البريد

أهدي هذه النشيدات إلى أخي

بالدماء تُحرر الأوطان

•

ملحمة

الحرب المقدسة

ونشيد العروبة فى تحرير فلسطين

•

دار المعارف للطباعة والنشر بمصر

عنوان المؤلف ١٣٠ شارع العباسية بالقاهرة

كلمة ضيف مصر الكريم

حضرة صاحب السماحة مفتى فلسطين الأكبر

«حضرة الأستاذ الشاعر الموهوب . . .

« السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد . فقد وصلت إلينا قصيدتكم »
«العصماء «إلى فلسطين الشهيدة» فقرأتها معجباً ببيانكم . مقدراً لعواطفكم النبيلة»
« وإنى لأشكركم أجزل الشكر وأحييكم أطيب التحية . »
« بارك الله فيكم ووفق الجميع لما فيه خير الأمة ونجاة البلاد »

عاليه لبنان فى ٢٢ المحرم سنة ٦٧ (١٩٤٧/١٢/٥)
عاجل بالبريد الجوى

محمد أمين الحسينى

***

كلمة رجل النزاهة والإقدام ورئيس الشرف للجنة العليا للدفاع عن فلسطين
وأول رئيس وزارة مصرية دافع عن قضية فلسطين رسمياً

حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا

« أبعث إليكم بخالص الشكر على مجهودكم العظيم . . . . مقدراً لكم أطيب»
«التقدير . ما يفيض به شعركم من كريم العواطف والشعور . وما يمتاز به»
«من جميل الأداء وصدق التعبير . راجياً لكم دوام التوفيق مع أطيب التمنيات»

على ماهر

كلمة عجز عن الشكر

تفضل أستاذنا الدكتور «عبدالوهاب عزام بك» عميد آداب الجامعة المصرية فاقترح على الأمانة العامة لجامعة الدول العربية طبع هذا الشعر وتعميمه فوافقت . فلم يسعنى تعبيراً عن عميق شكرى . إلا أن أبادر بالطبع هدية لإخوانى أبطال فلسطين المجاهدين شاكراً للجامعة تفضلها بالتعميم والإهداء — ثم تفضل سادتى العظماء ببعض الكلمات العامرة الغامرة . كما تفضل ذوو الفضل بآيات التشجيع والتقدير . فلم يسعنى إلا أن أبدى عجزى عن إيفائهم حق عطفهم وكريم تنازلهم . سائلا الله أن يجعل من دمى لفضلهم كفاء وللبلاد فداء .

أول يناير سنة ١٩٤٨ — **صادق**

كلمة

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر «مفتى الديار المصرية»

وعضو اللجنة العليا للدفاع عن فلسطين

صديقى . . . شاعر العروبة والجهاد

اطلعت فى صحيفة الأهرام على قصيدتك العصماء . بمناسبة محنة فلسطين . وما عساى أن أقول ! وأمير الشعراء «شوقى» لم يدع قولا لقائل . مذ لقبك «بنابغة الشعراء» ومذ قال فيك «إن الله قد جمع لك الأسلوب والروح الموهوب والخيال اللعوب . وهذه الثلاثة هى الشعر كله» ! !

وها أنت ذا بعد أن ساهمت بقلمك وشعرك الفياض فى إضرام نار الثورة المصرية منذ ربع قرن . وبعد أن فزت بجائزة الدولة فى وضع نشيد مصر القومى . تهب من فورك لتلهب نار الثورة العربية لإنقاذ فلسطين الجريحة بملحمتك الكبرى وإيمانك الصادق وحماسك القوى

حقاً إن دم أجدادك من أمجاد العرب وأبطال الفتوحات الإسلامية وحماة السيف والقلم لايزال يجرى فى عروقك(1) . ويدفعك إلى الوثبات الموفقة فى ميادين الجهاد لإعلاء شأن العروبة والنضال فى سبيل الحياة الحرة الكريمة التى عاش فى ظلها العرب والإسلام قروناً متطاولة

فأنت اليوم إذ تنشر بين العرب آياتك البينات وقصائدك الرصينة إنما تعيد لنا صورة من بدائع «حسان» وأضرابه (2) الذين نافحوا عن الحق فأيدهم الله بروح منه . وفقك الله وأحسن إليك والسلام عليك ورحمة الله

٢ صفر سنة ١٣٦٧ (١٩٤٧/١٢/١٤)

مفتى الديار المصرية

حسنين محمد مخلوف

(١) الشاعر شريف من نسل الحسين وأحفاد الخلفاء العباسيين وسلالة الفاتحين من أمراء الأندلس
(٢) حسان هو شاعر النبى وأكبر فحول شعراء العرب فى صدر الجهاد .

« نشيد العروبة فى تحرير فلسطين(١) »

يا بنى الشرق وأحفادَ الألىٰ * سابقُوا الشمسَ على عرش العُلا

أشرقوا فى الأفق نوراً ولهبْ * واملأُوا الكونَ بآياتِ العَجَبْ

وعلى التاريخ خُطّوا بالذهبْ * سَبّحَ الدهرُ بأمجاد العربْ

يا دمى يا قلبُ * أىُّ عيشٍ بَعْدُ!!

إنْ دعانا المجدُ * ألمنايا شَهْـــدُ

للضحـــايا الخُلْدُ!!

* * *

طبّقوا الآفاقَ شأنَ الخالدينْ * واملأُوا الدنيـا دَوِيًّا ورَنينْ

أشهِدوا الأجدادَ فى طَىِّ الثرى * أننا أشبالُ ذيّاكَ العرينْ

يا فلسطينُ اشهَدى * هولَ يومِ المعتدى

يومَ نجتاحُ العِدا * ذاكَ يومُ المولدِ

* * *

(١) هذا النشيد يدع المؤلف تلحينه لأخوانه المجاهدين فهم فى الميدان أقدر على تلحينه تلحيناً طبيعياً فى جوه الطبيعى ، مدفوعين بروح الحماس والشجاعة والبسالة ، كما أن إخواننا أبطال الأقطار الشقيقة مشهورون بالروح الموسيقى الفياض وهو بعد نشيد سلس اللفظ طائع اللحن طبيعى التعبير . . .

أطلِقوا الأرواحَ فى ظِلِّ العَلَمْ * عاصفاتٍ بالروابى والقِمَمْ

يَشهدُ التاريخُ فى ساحِ الوغَى * أنّنا أبناءُ مَنْ سادوا الأُمَمْ

إيهِ بيتَ المَقْدِسِ * لكَ روحى والفِدا

كعبةَ الشرقِ. تعالَىْ * فوقَ أشْلاءِ العِدا

* * *

قُمْ صلاحَ الدينِ واشهدْ مجدَنا * مجدَكَ الباقى على مَرِّ الزمنْ

قد أتيناكَ نُحَيِّي عَهدَنا * نُرخصُ الأرواحَ فى أغلا وَطَنْ

وَطَنُ الأوطانِ أنتِ * يا فلسطينَ الْجدودْ

عِشتِ للشرقِ ودُمتِ * لنْ تكونى لليهودْ!!

* * *

آلَ صِهيونَ خَلدتمْ فى الجحيمْ * يا وقودَ النار يا حَصْدَ الهَشيمْ

طعمةَ النيرانِ ! ذوقوا بأسَنا * ما لنَا الدهرَ سواكم مِنْ غريمْ

يا دمى يا وجدُ * أىُّ ثأرٍ بَعْـدُ!!

إستمعْ يا دهرُ * واستجبْ يا مجدُ

ألمنـــايا شَهْدُ

للضحايا الخُلْدُ!!

ملحمة الحرب المقدسة

دفاعاً عن فلسطين الشهيدة (١)

خَطَبَ السيفُ أَسكِتوا «سحبانا» ☆ يا لَقومى وودِّعوا «حسّانا (٢)»

وخذوها من الطريق المؤدِّى ☆ لا تُطيلوا البيانَ والتبيانا

ساعةُ الفصل آذنتْ والمنايا ☆ دَقَّ ناقوسها ودوَّتْ أذانا

إنَّ هذا الفؤاد أَشعَرُ بالخطـــب وأدرى بما يثير أسانا

فاعذرونى إذا أذبتُ ضلوعى ☆ واعتصرتُ القلوبَ والأجفانا

وادمِ يا قلب للثمالة وانضبْ ☆ إنَّ روحى لن تفقد الخفقانا

لىَ روح رفافةُ الوجد إمّا ☆ فاتها العهدُ جاذبتْه الحنانا

عَلقتْ روحىَ البلادَ فيا رو — ح إذا متُّ عانقى الجدرانا

رُبَّ نوحٍ على الطلول ووجدٍ ☆ كاد فى الصخر يخلق الوجدانا

☆ ☆ ☆

يا «فلسطينُ» بعد «أندلسٍ» ماذا — بِريْب الزمان ممّا دهانا ؟

دُرّةَ الشرق . مهبطَ الوحى . مهوَى ☆ مُهجِ العُرْب . ملتقَى أنبيانا

أَبدىٌّ الوفاء ملءُ الحنايا ☆ يا بلاداً سُقيتِ حَرَّ دمانا

---

(١) هذه القصيدة هى بعض « إلياذة العروبة الكبرى » التى يقوم بطبعها الشاعر توحيداً للعروبة والشرق في حرب التحرير — وقد نشر بصحيفة الأهرام فى ١٩٤٧/١١/٢٨ صباح صدور القرار الجائر بتقسيم فلسطين

(٢) تفضل سماحة المفتى بتأييد هذا المعنى فى كلمته المأثورة « تكلم السيف فاسكت أيها القلم » — وسحبان هو من أخطب خطباء العرب وحسان هو شاعر النبى . والطريق المؤدّى هو السيف

رفرفَ القلبُ فى مغانيكِ شوقاً ☆ مثلما رفَّ فى سماكِ لِوانا

والهلالُ الذى أَحبَّكِ لا أدرى أزنتِ الهلالَ أم هو زانا ؟

قلعةَ العُرْب أىُّ أىِّ تراثٍ ☆ أنتِ فى الملك من سناء عُلانا ! !

يا سويداء كل قلب وروحٍ ☆ شَبَّ فيك الهوى وشبّ صِبانا

بزغتْ شمسُنا على هدب جفنيكِ — وأرضعتِ فى البكور نَدانا

وتمشّتْ أواصرُ الحسَب الحافـــل بالمجد لُحمةً ولِبانا

أنتِ إنْ كان للمشارق عينٌ ☆ كنتِ للعين حسبُها إنسانا

ضمّكِ الشرق للفؤاد كأمٍّ ☆ نازعَتْ فى وليدها القُرصانا

سوف نُجرى لكِ الدموعَ ولكنْ ☆ دمعةَ النصر يوم نقضى مُنانا

يا لواءِ إذا طوتْه الليـــالى ☆ جَلَّلَ العارُ أرضَنا وسمانا

إنْ يكنْ نعشُكِ الذى نصبوه ☆ فانسجوا للعروبة الأكفانا

واجعلوا الهامَ موطئاً لنعالٍ ☆ وأهيلوا التراب فوق لحانا

وانبذوا نعرةَ الإباء وقولوا ☆ رحِم اللهُ قبلنا موتانا

جللوا بالسواد كلَّ جبينٍ ☆ وإلى التُرْب شيِّعوا كبريانا

بين نيلٍ ودجلةٍ وفراتٍ ☆ دولةٌ يبتنون فوق حشانا

ها هى الثغرةُ التى لو أُبيحتْ ☆ أغرقَ السيلُ سهلَنا ورُبانا

ها هى القرحة التى تفدح الشرقَ فعاجلْ بالمِشرط السرطانا

فلذةٌ من حشاشة الشرق تدمى ☆ يا لَأكبادنا تطيقُ الهوانا

إبنة الشرقِ والعروبة ويحاً ☆ ناشدتْنا الإنجيلَ والقرآنا

ناشدتْ فى البقاع كلَّ حجيجٍ * وتولّتْ تناشد الرهبانا
ناشدتْ مصرَ والعراق ونجداً * وشآماً وناشـــدتْ لبنانا
فبكى «أحمدٌ» عليها و«عيسى» * واستثارا الهلالَ والصلبانا
آذنا بالجهاد أو يحكمَ اللــــهُ فهيّا نقدّم القربانا
باركَ الله حول مسجدها الأقصـــى وفيه أحلَّ طيبَ سُرانا
ثالثَ المسجدينْ فُدّيتَ بالروح — ولا زلتَ مشرقاً لهُدانا
رُوِّعَ المسجدُ الحرامُ على الخِـــلّ فأبكى «الخليلَ[١]» والخلّانا
وانثنتْ كعبة بمكةَ ترثيــــكَ فكادتْ تزلزل العمدانا
وتنحّتْ «مدينة النور[٢]» تأبَى * مِنْ حجيجٍ أنْ يلمس الأركانا
وأبَى أنْ يُقبَّلَ الحجرُ الأسْـــودُ أو تلثم الثرى شفتانا
إيهِ يا عار . ما كهَولكَ عارٌ * إنْ فقــدْنا ديارنا وحِمانا
لَأحلنا جبـالَها بركانا * وأسَلنا أنهارها طوفانا
وَلَكِدنا من طول دكٍ ونسفٍ * نجعلُ الأرضَ توقف الدورانا !!
ولَأشفقتْ بعد هديٍ ودينٍ * أن ترانا فتحسب الشيطانا
قد نمانا الإله أكرمَ خلقٍ * وحبَانا من روحه ريحانا
وإذا شاء فى الحياة قصاصاً * لن ترى جنده ولكنْ ترانا[٣] !

* * *

«مجلسَ العُرْب» والعروبة هيّا * دقَّ ناقوسُها ووقتُكَ حانا

(١) إشارة إلى مقام سيدنا إبراهيم الخليل (٢) المدينة المنوّرة
(٣) اشارة إلى معنى الآية من أن الله ينصر المؤمنين بجنود لن تروها

قَبِّلَ السيفُ راحتيْكَ ابتهاجا * بعد ما طال حبسُه أزمانا !
فاستعِدْ مجدَنا الذى ظلموه * واشرعِ السيفَ وافتحِ الميدانا
لجهادٍ ما بعده من جهادٍ * وكفـاحٍ لا ينقضى إمعانا
لا سَقَانَا الحيَا ولا جادنا الغيـــثُ ولا عاشَ مَن يُطيق الهوانا
ربِّ لا ذلَّ تحت عرشك حيٌّ * فخذِ الروحَ إن أردتَ امتحانا
ربِّ حاشاكَ ما اجتبيتَ ذليلًا * ربِّ حاشاكَ ما اصطفيتَ جبانا
إن تشأْ فالخطوبُ عزفُ قيانٍ * والمنايا نُحسُّها ألحانا
أيُّ حيٍّ أسميتَـه إنسانا * مَنْ إذا شَفَّه القضاء استكانا ؟
وإذا رِيضَتِ النفوسُ على الذلِّ — استُبيحتْ وكلُّ شيء كانا !
وطنى عنكَ ما شُغِلتُ بدنيا * أحقرُ الشيءِ عندنا دنيانا
فِئةٌ تَحملُ الرؤوسَ على الكـَـفِّ وتمضى لتَصفعَ الحدثانا
قد عرَفْنا تجرُّدَ الروح حتّى * شاقنَا أن نُمزِّق الأبدانا
زمنٌ كلُّ ما عليه وما فيـــه وما منه داؤه أعْيانا
زمنٌ ترجمَ السماحةَ جُبنا * والإساءاتِ قوةً وجَنانا
يا أعاصيرُ حرِّقى كلَّ شيء * وأحيلى الجسومَ منّا دخانا
أيُّ شيء على الخلائقِ يطغى * وعلى القلبِ أيُّ شيء رانا !
وأرى أعينَ العـدالةِ يقظَى * لم تدعْ ثأرها ولم تغفُ آنا
أين «بستيلها»[١] وغلاظةُ «نيرو — نَ» وظلمٍ طغى فذَلَّ فهانا ؟

(١) إشارة إلى الثورة الفرنسية وتحطيم البستيل — وإلى نيرون الطاغية الذى كان يلهو بحرق روما

آذنتْ ساعةُ القصاص وحقَّ * لدماء القتيلِ من شهدانا

و«الأمينُ الحسينُ» أصدقُ فُتيا * صَدقَ اللهُ وَعْدَ ما أفتانا

شيخَنا الملهمَ المقرَّب نُبِّئْـــتَ وصَحَّتْ على يديك رؤانا

إيهِ قُمْ فادعُ في المدائنِ لبّيــك «صلاحُ الدين» استجاب ندانا

وتَساءَلْ هل بعدَ أُسْدِ «ركاردو — سَ»(١) نُلاقى الأذلَّةَ «الصهيانا»

إنما الحربُ بينَ أندادِ قومٍ * لن تُساوى أسودُها الجرذانا

لَنُعيدنَّ عهدنا من قرونٍ * أو نُشيبنَّ في الحشا الولدانا

ونَرُدَّنَّ «بيتَ قدس» لقدسٍ * أو نَدكَّنَّ أرضَنا وسمانا

إيهِ لا عيبَ يا ابنَ آدمَ إنْ مـــتَّ وجنّبْتَ روحكَ الخذلانا

رُبَّ روحٍ حرصتَ دهراً عليها * عجّلَ الضيمُ حتفها ألوانا(٢)

ولهذى الحياةُ أحقر مِنْ أنْ * تتحدّى الضميرَ والوجدانا

«وإذا لم يكنْ من الموتِ بُدٌّ * فمن العار أن تموتَ جبانا»

* * *

أيها الأُسْدُ عِيلَ صبرُ الليالى * فاحطموا القيد واسحقوا القضبانا

وُلِدَ الناسُ منذ آدمَ أحرارا — فدُكّوا السجونَ والسجّانا

كيف نرجو الذئابَ عطفاً علينا * أو نُرَجّى من العدا الإحسانا ؟

---

(١) إشارة إلى الحروب الصليبية وما كان بين الفريقين من تبادل الشجاعة والنبل لا الخيانة والغدر

(٢) أى أن الاستعباد والذل يقصم الظهر ويعجل المنية في أبشع الصور

فيمَ تحكيمُهم وما الأمرُ شورى * إن عَنا الأمرُ عِرضَنا وحمانا(١)

يا شرايينَ مِنْ دمٍ عربيٍّ * سِمَةُ الذلِّ لم تكن سيمانا

وأرى للأبيِّ صولةَ نفسٍ * لم تُحمَّلْ في عسرها الإذعانا

وإذا ما اللئيمُ حُكِّمَ في الأمــر فحكِّمْ في عنقه المُرّانا(٢)

ورداءُ الكرام من كفنِ التُّربِ — إذا عبدُها ارتدى الطيلسانا

يا جُدوداً لنا على الغربِ سادوا * ثُمَّ مادوا وأشهدوا الميدانا

أمْسَكوا بالشراع في مَسْبَحِ الخُلْـــدِ وساروا وودَّعوا الصولجانا

وأصاروا الأرواحَ ريحاً على الدهــر تسود الوجودَ والأكوانا

لو تُقاس الشعوبُ بالفتح والنصــر وبالنبل عزَّ مَنْ دانانا

منذ كانت خُطَى الخلائق تحبو * علّمَ الطيرَ نسرُنا الطيرانا

كل معنى من المعانى جديدٍ * شبحُ ماضٍ مضيَّعٍ مِنْ عُلانا

بالثأر النفوس يشفى ويُغرى * كاد ثأرُ النفوس يغرى الجبانا

كاد ثأرُ النفوس في الوطن الغالى — وفي العرض يسبق الإيمانا

عَجبى والأنعامُ تُدركُ أحيانا — ونَمضى في الغيِّ آناً فآنا(٣)

بينَ حربينِ من فناءٍ وهلكٍ * كمْ نَصَرْنا على الزمان عِدانا

فأَعَنَّا «السَكْسُونَ» أبلغَ عونٍ * وخذلْنا الألمانَ واليابانا

---

(١) إشارة إلى الرضا بالاشتراك فى هيئة الأمم المتحدة عند بحث القضية وأخذ الأصوات وهى هيئة لا صفة لها فى تقسيم أوطاننا والعبث بحريتها

(٢) المرّان هى الرماح . والطيلسان هو رداء العظماء

(٣) إشارة إلى معاونتنا الحلفاء فى الحربين الماضيتين وتصديق وعودهم الكاذبة ولولانا لانهزموا شر هزيمة

نُشْهِدُ اللهَ أَنَّ دائرةَ الدهـــرِ عليهمْ أَدارها لولانا !
أفْلتَتْ فرصة الزمانِ وهيها — تَ فما أعذرَ الزمانُ ولانا
هزلتْ حتَّى سامَنا آلُ صهيونَ فشاءوا نزالَنا والطعانا !
وعزيزٌ أنَّ المقاييسَ هانتْ ✡ فنُلاقى مَنْ كانَ يَخشى عصانا
نَبحتْ ضالَّةُ الكلاب علينا ✡ نافثاتٍ بربْعنـــا الديدانا
النفاياتُ والحثالةُ من شُذَّاذِ — آفاقهـــا خنًا وهوانا
وإذا الأرضُ شِئَ يومًا فقاءتْ ✡ لم تَقِئْ مثلَ شَعْبهم غثيانا
بَصَقتْ نَشأةُ الخليقةِ يومًا ✡ آفةً شُبِّهتْ لنا إنسانا
قدرٌ ساخرٌ ودنيا ضحوكٌ ✡ أن تَرَى فى ثيابكَ الأفعوانا[1]
أذكروا الغربَ يومَ أوسعكم طردًا — وحيُّوا «الخليفةَ السلطانا»[2]
كَرَمُ الشرقِ ما تُلاقون مِنّا ✡ فجزيتمْ صنيعَنا النكرانا
نحنُ من أدْفأَ الأراقمَ حتّى ✡ أنْشبتْ فى لحومنا الأسنانا !
وكذاك اللئامُ تكفُرُ بالبرِّ — وتجزى المــبرَّةَ الكفرانا
إيهِ «شمسونُ[3]» ما «دليلةُ» إلاّ ✡ بِنتَ صهيونَ معصرًا ودِنانا
وأبوها إنْ شئتَ فاعرفْ أباها ✡ «تاجرَ[3] البندقية» الفنّانا !
جَمَعا فَنَّ كلِّ هتكٍ وفتكٍ ✡ وعلى الكيْدِ دَرَّبا الوِلدانا

(١) أى ترى هذى الآفة التى لها أخلاق الثعبان تظهر فى ثوب الإنسان

(٢) إشارة إلى الخليفة العثمانى الذى فتح لهم أبواب السلطنة عندما طردتهم أوروبا قديما فأولاهم الشرق كل رعاية ورحمة

(٣) إشارة إلى الروايتين المشهورتين وفيهما يظهر غدر اليهود وجشعهم الوحشي جريا وراء المادة . والدنان هى ما تخمر فيه الخمور

وأرى الدينَ فى فمِ الناس فوضى ✡ أشْـــبعوه مَسَبّةً ولِعانا
ظلموكَ اليهودُ يادينَ موسى ✡ جَعلوا الدينَ الأصفرَ الرنّانا !!
إنَّ موسى كليمَ ربِّى براءٌ[1] ✡ لم يُحمِّلْ توراتَه الثعبـــانا

✡
✡ ✡

ياولىَّ المسيحِ يا «بابا روما» ✡ لكَ نشكو الآلامَ والأحزانا[2]
مَنْ لعيسى وصالبوه أضلّوا ✡ سمت الروحُ تنْشدُ الديّانا !
لم يُروَّعْ وشقوةُ الأرضِ تطغى ✡ أَصَليباً يلقاه أَمْ تيجانا !!
قَمَرىُّ الجبينِ فى فِضَّةِ الزئْبَـــقِ يُضْفى إشعاعُه إيمانا
سَطَعَتْ هالةُ «البتول» مع الشمـــسِ فَأَزرتْ بضوئها لمعانا
فإذا أهلها[3] أساءوا إلى الشرقِ فناجِ المسيحَ أو «عذرانا»
ماسحَ الأرضِ بالبراءة والبــــرءِ سلاماً علّمتنا الإحسانا
لِكلانا يا آل عيسى تفانى ✡ وحرامٌ من الدما سُقيانا
نُشهد الله والسمواتِ والأرضَ وكِدْنا أن نُشهدَ الحيتانا
كيفَ نُسقى كأسَ اليهودِ دِهاقاً ✡ ونخونُ الأبرارَ من شُهدانا !
فى بلادٍ لم يَبْنِ فيها سِوانا ✡ وسِوانا لمْ يَعْمُرِ البنيانا

(١) إشارة إلى شكوى موسى عليه السلام من اليهود ودعائه عليهم

(٢) إشارة إلى آلام السيد المسيح من تعذيبهم واستنهاضاً لعدالة العالم المسيحى لانقاذ موطن المسيح من مخالب اليهود بمناسبة عيد ميلاد المسيح فى أواخر ديسمبر الحالى

(٣) إشارة إلى معاونة العرب لليهود رغم ما عاناه السيد المسيح من مظالمهم — والبتول هى السيدة العذراء . وبقية الخطاب للعالم المسيحى

مِنْ قديم الزمانِ والأزل المُمْعِـــــنِ قدْماً يومَ الوجودُ احتوانا
عَجَبِى والمسيحُ أَعرَفُ بالظلـــــم لمنْ تبتغون سفكَ دمانا ؟
لَـكَفورٌ بآى عيسى وموسى ✡ والنبيِّين مَنْ بظلمٍ رَمانا
فَدَعُوا موطنَ المسيح بخيرٍ ✡ وسلامٍ فإنه. « عيسانا »
نحنُ حُرّاسُه القُدامى وهـذى ✡ آيُنا فيـه فاسألوا الفرقانا[1]
لا تبيعوه لليهودِ حـراماً ✡ بعـد ما ضاقَ باليهود وعانى
إنْ تكونوا بَنِيه حقًّا وصدْقاً ✡ فخُذوا نهجَـه سلاماً أمانا
وافتـداءً . كَعَهده . وفنـاءً ✡ لا انتهاكاً . كَعهدكم . طغيانا
وَدَعُوا شهوةَ المطامع إنِّى ✡ لم أجـدْ لذَّةً كروحٍ تفـانى !

✡
✡ ✡

قادةَ الشرق والعروبةِ هَـذى ✡ محنةٌ[2] شاءها الإله امتحانا
وحِّـدوا جَبهَةَ المشارقِ صَفًّا ✡ وعلى البـذلِ وطِّنوا الوجدانا
واسْحقوها قطيعةً جعلتْنـا ✡ نهبةَ الذئبِ ينهشُ القطعانا
جَنِّدوا الروحَ والمشاعرَ واسْموا ✡ بهوَى النفسِ تأْمَنوا الخذلانا
واجعلوا من تكَتُّل الشرقِ حصناً ✡ يُرهب الخصمَ تدفعوا العدوانا

(١) إشارة إلى ما ورد فى القرآن تمجيدا للسيد المسيح وحضا المسلمين على حسن معاملة المسيحيين

(٢) إشارة إلى قوله تعالى « عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لـكم » فإن هذه المحنة جمعت أواصر العروبة وستكون فاتحة النهضة العربية ومبعث إشراق الشرق وعودة أمجاده إذا اتحد واستعد وأخلص الضمير

ربعَ قرنٍ أدعو صباحَ مساء ✡ أأرانى بلغتُ يوماً مُنانا ؟[1]
وأقيموا الجدارَ فى داخل الصَرْحِ ✡ وطيداً وحَصِّنوا الجـدرانا
واجعَلوا الحُكم فى الكفايات شُورى ✡ واستِباقَ الأخلاقِ فينا رِهانا[2]
فصلاحُ الأمور فى عَضُدِ الـكُفءِ — ووَحْى الأَطهار مِنْ أوليانا
واتَّقوا اللهَ فى أمورٍ جِسامٍ ✡ فمصيرُ الأمور رَهْنُ تقانا
أَعْـيُنُ الغرب للمشارقِ بالمرصـــادِ تُحصى العقولَ والأذهانا
ضَاعفوا الخطْوَ فاللحاقُ عسيرٌ ✡ بعـد أن نامَ شرقُنا أزمانا[3]
نحن مَنْ ذاق كاسَها من قديم ✡ مُعْرِقُ الظُلم مِنْ مرير سقانا
مُعْرِقُ الظلم فى لحوم البرايا ✡ كَمْ مِنَ الدمعِ والدما روَّانا

✡
✡ ✡

قادةَ الشرقِ ما المشارقُ إلَّا ✡ مَشرقَ الروح منذ ضاعتْ سمانا[4]

(١) إشارة إلى دفاع الشاعر عن فلسطين منذ وعد بلفور ودعوته إلى التكتل الشرقي منذ الثورة المصرية عام ١٩١٩ ومن قصائده فى ذلك الحين قوله :—

أفى فلسطين من ويلات اندلس ✡ عهـد كعهـد وأيام كأيام
من كل فادحة حلت بجائحة ✡ تكاد تبـدل أقواماً بأقـوام
تطغى علينا خطوب الدهر قاصمة ✡ ونحن نهب خرافات وأحـلام

(٢) إشارة إلى الشوائب الشائعة وإلى ضرورة إصلاح البيت من الداخل ليستقيم البناء ويجابه العواصف من الخارج

(٣) المجهود مضاعف فعلى الشرق أن يدرك الغرب ويلاحقه ثم يباريه فى خطاه وسباقه حتى يسبقه وقديما قيل إن الشرق والغرب كفتا ميزان إذا رجحت إحداهما خفت الأخرى

(٤) إشارة إلى نزول الديانات جميعا فى الشرق العربى

جانبُ الطُورِ حينَ جَلَّله النــــورُ تجلَّى السنا على « سينانا »
ووميضٌ مِن كهفِ غار حراء ☆ إنْ سَجَى الليلُ ما قلاه ضُحانا[1]
جَنَباتٌ مُطهَّراتٌ رُباها ☆ داعبَ الوحىُ فوقها أنبيانا
ما عزيزٌ على المشيئة فيها ☆ أن نُلَقَّى فى كلِّ حينٍ هُدانا
إنما المرءُ أَصْغَراه إذا شـــاءَ هَدَى اللهُ قلبَه واللسانا
خَلَقَ الموتَ والْحياةَ ليبلو ☆ أَيّنا فى الْحياة أعظم شانا[2]
وذَرَانا فى الأرضِ حتى إذا ما ☆ آذنَتْ ساعةُ الْحسابِ اقتضانا
أَنَا مَنْ عاشَ يكتوى بالمآسى ☆ فاعذروه إذا غدا ترجمانا
يا أخى نحنُ للنبّيين رَكْبٌ ☆ سايرَ الركبُ قبْلنا « حسّانا »
فاسمعونى إنى سليلُ نبىٍّ ☆ وحفيدٌ مهما الزمانُ رمانا
عربىُّ اللسانِ والقلبِ والروح — وجَدِّى «الْحسينُ» مِنْ شُفَعانا[3]
والحسينُ الشهيدُ أعرقُ فى الُخلْــــد وأسمى من الملوكِ مكانا
كلُّ شعرٍ يجئُ فيضَ شعورٍ ☆ لا يُرجِّى أجرًا ولا إحسانا :
هو مِنْ نبعةِ الإله تعــــالى ☆ جلَّ من يُرسلُ الحشا أوزانا
راحَ بالروح يستشِفُّ ويستوحـــى ويستلهمُ المَــدىٰ والزمانا
يتجلّى بالعبقرىّ من المعنَى — وسامى الأهداف إنْ ناجانا
فابعثوا عِزّة الرجولة فى الشِــــعر فإنَّ القصيد ما أحيانا

(١ ، ٢) يرد فى القصيدة اقتباس كثير من الآيات القرآنية والحديث الشريف
(٣) إشارة إلى أن الشاعر من نسل الحسين

إنّها وثبةٌ إلى المجد إنْ صَحَّـــتْ لَكَفّتْ عن البكا «خنسانا[1]»
زَمَنٌ لم يعُدْ لعبلٍ وهنــدٍ[2] ☆ بل لسيفٍ تصولُ فيه يَدانا
لغةُ العصر عالمَىٌّ من الفكـــر وعيْنٌ لا تنثنى جوَلانا
وصراعٌ لا ينقَضى خفَقانا ☆ وَسِباقٌ لا ينتهى جَـرَيانا
أَمَرَ اللهُ بالدفاعِ عن النفـــسِ وإنْ كانَ يمقتُ العدوانا
رَبِّ ما كان غيرُ جاهك ركناً ☆ لا ولا كان غـيركَ المستعانا
رَبِّ لم تَعـــدمِ البريّةُ خَلقاً ☆ سبّحوا اللهَ جهـدَهم سبحانا
فامنحْ الصالحين رحماك إنَّا ☆ قـــد عرفناك ربَّنا الرحمانا
وخُذ الظالمين بالظـلم وابعثْ ☆ آيةً منك تسحق الطغيانا

صادق

(١) إشارة إلى شاعرة العرب التى عاشت ترثى أخاها « صخرا » الفارس الشجاع
(٢) إشارة إلى انصراف الشعراء إلى الغزل وإشاعة الميوعة والمجون والشهوات فى زمن يحتاج إلى استنهاض الهمم والرجولة والتفرغ لإنقاذ البلاد

كلمة ختامية للمؤلف

ليس السلاح والشجاعة هما كل عدتنا فى هذا النضال الحاسم . بل إن هناك لأسلحة أمضى تتطلبها طبيعة الزمن :—

منها سلاح الذكاء والدهاء : فإن خصمنا داهية زمانه خبثاً ومكراً . ضجّ من خبثه أنبياؤنا . واستطاع بخبثه أن يؤلّب العالم علينا . وعماده ما يرمينا به من تسامح أو غفله . وله من أذنابه أعوان متسترون فى أحشاء ر بوعنا يؤمنون به من الأعماق و يمدونه بأسرارنا وأموالنا و يكيدون لنا دون تورع — معقد آمالهم إنشاء تلك المملكة الواسعة الأطراف على أشلاء الشرق الأدنى .

واجبنا أن نحارب الخصم بسلاحه فنعمد إلى الذكاء والدهاء حتى نفكك وحدة الدول المتألبة علينا ولنا من سعة رقعتنا وثرائنا ما يعين على الترغيب والإرهاب . علماً بأن قضية اليوم لا يعدِلها احتلال عابر أو وصاية زائلة بل هى قضية فناء شعب وانتزاع ملك إلى الأبد ! ! — واجب حكوماتنا أن تفوّت على العدو غرضه وأن تكيل له فى مواضع الإيلام وأن تخيّره بين أمله المعسول و بين خسارته للعالم العربى بأسره فلا نفع ولا اتجار ولا مقام ولا عيش حتى يوازن بين يومه وغده . لأنه عبد المادة قبل كل شىء .. على حكوماتنا أن تقلم أظافره بين ظهرانينا فإننا لنرى فى مستهل كل حرب كيف تعمد الدول إلى الأحوط من اعتقال ومصادرة لمجرد الاشتباه العابر . و إلى أخذ الرهائن لمجرد الإرهاب والزجر . حتى لا تمكّن لأذناب السرطان من أن تعيث فيها . نحن لم ننس بعد كيف فرضت علينا انكلترا اعتقال بعض عظمائنا من الرعايا المحليين لمجرد الظن الخاطىء والحذر البعيد . وطبيعى أن من استطاعوا تأليب العالم المسيحى قديرون على استغلال صلات القربى ووشائج المصلحة المشتركة حتى نُطعن فى الصدر والظهر معاً .

ومنها سلاح الروح والإيمان : فلن ينصرنا شىء كالتجرد عن الشهوات والفناء فى الله . حتى ينساب فى قرارة نفوسنا ذلك الإيمان العلوى الذى يكتسح كل شىء ، عندئذ نستعيد سيرة مجاهدينا الأوائل . وسبيلنا فى هذا هو الارتقاء بالوعى القومى الشامل وتوحيد الصف وتجنيد الروح المعنوى . مؤمنين بأنها قضية الحياة أو الموت . فهى إما محنة كالتى تسبق نهضات الشعوب كما حدثنا التاريخ . و إما نقمة نرزح تحتها إلى الأبد مجللين بالعار . عار انتصار شرذمة من شذّاذ الآفاق على عالم عربى واسع الأطراف ، يومئذ يطمع فينا الصغير والكبير وتتبدد أوطاننا على أيدى سماسرة الاستعمار

هذا السلاح الروحى يطالبنا بسرعة الانتصار . فإن كل استطالة فى مقاومة العدو عار فى القياس بين القوتين يحمّلنا التعيير فى النتيجة مهما انتصرنا فضلا عن أنه يمكّن للعدو و يشجع أنصاره — هذا السلاح الروحى يطالبنا أيضا أن ندفن معايبنا فلا تظهر صحفنا وأقلامنا إلا بكل ما يرفع رؤوسنا و يزكى روحنا المعنوى شحذاً للعزائم و إرهاباً للخصم . مع توحيد فى القيادة والجيش والسلاح وفى الدعاية والاهداف والوسائل . علينا أن نقتصد فى كل شىء وأن نجند كل شىء وأن نركّز كل جهودنا فى التبرع والتطوع عن سماحة وغيرة وصدق إيمان وعاجل نجدة

ومنها سلاح العلم والمادة : بأن ننهض نهضة سبّاقة مضاعَفة لنعوّض ما فاتنا . ولنلحق بالأمم فى مضمارها . فإن سلاح الروح والحق لم يعد كافياً فى هذا الزمن . فأعدُّوا لهم كل ما استطعتم من عدّة . وثقوا أنكم أذكى أهل الأرض . وأن أرضكم أغنى ما وهب الله للبشر . وأن موقعكم الجغرافى يتحكم فى أقطار المعمورة . وأن واجبكم أن تعرفوا كيف تستفيدون من نعمة الله . وأن تؤدوا رسالتكم حق أدائها

فالى قادتنا أرفع صوتى فى هذه اللحظة الحاسمة . فإن شعوبنا من أخلص شعوب الأرض وأسلسها قياداً وأسبقها بذلا وتضحية — كلما أوتيت القيادة الحكيمة البعيدة النظر فى إيمان و إخلاص و إنكار ذات وصدق تضحية

صادق

١٩٤٨/١/١

تحت الطبع :

إلياذة العروبة الكبرى

قلم من نار فى محاربة الاستعمار

هذه الملحمة التى قرأت أيها القارىء الكريم . مع الملحمة المصرية التي نشرتها الأهرام لمناسبة عيد الجهاد الوطنى سنة ١٩٤٧ . هما مقدمة إلياذة العروبة الكبرى التى وضعها الشاعر كيلا ينفرد الغرب بفخر إلياذته المشهورة . فجاءت الأولى من نوعها فى تاريخ العربية . اذ ترى كيف يستطيل نفس الشاعر فى القصيد الواحد حتى يبلغ الإعجاز . فى قوة مضطردة تزداد حرارة كلما أفاض حتى تبلغ الذروة فى النهاية . ولا بدع فإن حرارة الشاعر وصدق إيمانه استحقا من زعيم مصر الأكبر « سعد زغلول » الذى لم يقرظ شاعرا غيره . أن يلقبه بشاعر الثورة المصرية عام ١٩١٩ . وأن يقول فيه « إن فى شعرك لروح شباب دافق وقلب وطنى خافق . جلال فى المعنى وجمال فى العبارة وعذوبة فى اللفظ » — أما « شوقى » فهو القائل فيه « جمع الله لك الأسلوب والروح الموهوب والخيال اللعوب . وهذه الثلاثة هى الشعر كله » —

أما الموضوعات التى تناولتها الإلياذة فهى تشمل . عدا مصر وفلسطين . قضايا العروبة من المغرب الأقصى إلى أندونسيا . كما تشيد بأمجاد العرب منذ فتوح الأندلس . ثم هى دعوة حارة إلى الوحدة العربية والتكتل الشرقى . وهى الدعوة التى أفاض فيها الشاعر منذ قديم . ثم هى تستعرض مآسى الجيل والأدواء الهادمة لكيان الشرقيين فتدعو إلى الإصلاح الداخلى كيما يقوى الشرق على مجابهة الغرب . كما تدعو إلى نشر العدالة الاجتماعية وإنصاف العامل والعطف على الفقير ومحاربة التهتك والشهوات وعوامل الانحلال التى نفثتها سموم الاستعمار — وهى أخيراً تدعوا إلى التجرد والطهر والفناء فى الله استمداداً لعونه واستيحاء لهديه وإيماناً بقوته وقدرته على تحرير العروبة واستعادة أمجادها الماضية .

الجزء الثالث من ديوان الشاعر : كما ستصدر اللجنة الجزء الثالث من ديوان الشاعر مع مقدمة تحوى بقية تقاريظ « سعد » و « شوقى » و « على ماهر » و « عبد العزيز جاويش » و « العقاد » . . . إلخ

لجنة نشر الأدب القومى

دار المعارف بمصر
١٩٤٨